ان قلب ميزان القوى لصالح قوى الثورة لا يتم عن طريق السلبية ؛ فهو صراع يومي وسباق دائم مع عدو يعمل ما في وسعه للحفاظ على ميزان القوى بوضعه الراهن والملائم له .

وفي الحرب الثورية ، سوف تكون هناك مناطق للعدو غير مؤاتية لحرب العصابات ، ويجب مع ذلك ان تبدأ مجموعات صغيرة في اقتحامها ، فتهاجم الطرق وتدمر الكباري وتثبت الالغام وتشيع الفوضى فيها ، كحرب عصابات مساعدة . ثم ان التدمير يزداد في عموم المناطق الملائمة لحرب العصابات وتتوجه العصابات من منطقة الى اخرى حيث تشتبك مع جيش العدو في جبهات محددة . ويتم سقوط العدو عندما تتحول الانتصارات الجزئية تدريجياً الى انتصارات نهائية .

الحرب الثورية هي حرب الشعب . وليس للمظاهر العسكرية لهذه الحروب الا مدى محدود ، وخصوصاً ان تقنيات العصابات الثورية أصبحت الآن متقنة جداً . والحرب الثورية هي حرب النفس الطويل ، ولا يمكن الحصول على الحسم فيها الا عبر نفاذ الصبر ، والطرف الذي يصمد اطول وقت ممكن ، هو الذي يقاتل تحت راية أكثر الدوافع حيوية ؛ أي تحت راية شعارات سياسية تتلاحم معها جماهير الشعب . ويرتبط النصر حتماً بالقيمة النسبية للافكار السياسية القائمة . وفي النهاية ليست القوة المادية هي التي تنتصر وانما بالتأكيد القوى المعنوية .

لقد شهدت الحرب الفيتنامية مواجهة بين مفهومين ، المفهوم الاميركي المادي أساساً والمفهوم الفيتنامي المستند الى الانسان . وكانت قوة النيران الاميركية الهائلة ــ خصوصاً الجوية ــ اكثر من مخيبة لآمال الاميركيين . فالحرب الصناعية كانت عاجزة امام الصناعة العسكرية اليدوية للثوريين الفيتناميين . ولقد زاد التأييد لحكومة فيتنام الثورية وارتفعت سمعتها وهيبتها ، لأنها صممت على شن حرب المقاومة ، ولأنها حكومة موحدة كلياً تشارك الشعب ويلاته ، ولأنها تنتمي الى الشعب وتعمل لصالحه (٣٧) .

ومن المبادىء الراسخة التي يجب استمرار التذكير بها ، أنه اذا ما واجهت العصابات الثورية عدواً قوياً مصمماً ، كان عليها ان تخطط لحرب طويلة الأمد . ويستفيد الثوار عادة من طول مدة الحرب ؛ فالصراع الطويل المدى يضعف العدو ويعطي العصابات الزمن اللازم لقلب ضعفهم الى تفوق . ومن البديهي ان يساعد وجود القواعد الثورية المحررة هذا التحول التدريجي في ميزان القوى .

ومن مسلمات الحرب الثورية ، ان تعاقب المراحل ذات الأهداف المحددة في اطار الاستراتيجية الشاملة للحرب الثورية ، هو جوهر مخطط العمل الثوري . فغالباً ما تكون هناك مرحلة اعداد نفسي ، ومرحلة اعداد مادي تعقبهما مرحلة استثمار نفسي ــ سياسي ، فتؤدي جميعاً إما الى مرحلة مفاوضات ، مع المحتل الاجنبي لأرض الوطن ، أو استيلاء الثورة على السلطة السياسية ، بعد اسقاط السلطة العميلة من خلال الانتصار الكامل في الحرب الأهلية .

في الجزائر ، افتتحت مرحلة جديدة في بداية العام ١٩٥٧ ، حيث فهمت جبهة التحرير